عود الضمير
في آراء ثعلب التفسيرية

م. م. صفا مؤيد حميد
Safa Muayed Hameed

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعدُ؛ فقد شرّف الله العربية أن جعلها لغة القرآن الكريم، ولغة الرسول ﷺ، وبذلك شرُف البحث في هذه اللغة عامة، وفي لغة القرآن الكريم خاصة؛ لأن العلوم تنال شرفها مِن شرف ما تتعلّق به، وما تزال لغة القرآن الكريم مدار درس الدارسين، ومحط رحال الباحثين فهو الكتاب المعجِز الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يُحاط بسرّ إعجازه، وهو أول وأبلغ كتاب في تاريخ العربية نال منذ نزوله اهتمام علماء العربية من اللّغويين والمفسرين والنحويّين والبلاغيّين؛ للكشف عن أسرار ألفاظه وغوامض معانيه، فكانت عُصارة تلك الجهود طائفة من التفاسير القيّمة مِن بينها آراء ثعلب التفسيرية المبثوثة في كتب التفسير والمعجمات وغيرها من الكتب اللغوية.

ولعل من أبرز أسباب اختياري لهذا الموضوع:

١. إنّ موضوعي الموسوم **(عود الضمير في آراء ثعلب التفسيرية)** يرتبط بلغة القرآن الكريم؛ والبحث في هذه اللغة خاصة شرف ما بعده شرف.

٢. إنّ جهد ثعلب في علوم القرآن غامض ومغمور.

٣. وردت آراء ثعلب التفسيرية في معجمات اللغة، فضلا عن كتب التفسير، وهي كثيرة تستحق الجمع والتوجيه في دراسة شاملة تبرز منزلته بين المعنيين بالدراسات اللغوية القرآنية من علماء العربية القدماء؛ لأنّه يمثل رمزاً مهماً من رموز المدرسة الكوفية في زمانه.

واقتضت خطة البحث أن تكون على النحو الآتي:

تمهيد: تحدثت فيه عن سيرة أبي العباس ثعلب.

المبحث الأول: عود الضمير وأحكامه، **وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف الضمير.

المطلب الثاني: تعريف عود الضمير.

المطلب الثالث: أحكام عود الضمير.

المبحث الثاني: عود الضمير في آراء ثعلب التفسيرية.

الخاتمة: تحدثت فيها عن أهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد اجتهدت في هذه الدراسة على قدر جهدي، وحاولت أن أدلو بدلوي، فإن وفقت إلَى خير فهو فضل من ربي، وإن أخطأت فمن نفسي، وعذري أنّي بذلت ما في وسعي، وهذا الجهد الذي بين أيديكم هو جهد المقل ... والحمد لله أولاً و آخراً.

* * *

التمهيد

سيرة أبي العباس ثعلب

هو أبو العَبَّاس أحمد بن يَحْيى النَّحوي الشَّيْبَاني، لقبه ثَعْلَب إمام الكوفيين في النَّحْو واللغة حَدَّث عن إبراهيم بن المُنْذر الحزامي ومحمد بن سلام الجُمَحِيّ وغيرهم[١]، ولد سنة (٢٠٠هـ)، وتوفي سنة (٢٩١هـ)، وقيل توفي سنة (٢٨٩هـ)[٢].

أخذ ثعلب: عن محمد بن زياد الأعرابي، وعلي بن المغيرة الأثرم، وسلمة بن عاصم، ومحمد بن سلام الجمحي، والزبير بن بكار، وأبي الحسن أحمد بن إبراهيم.

وأخذ عنه: أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش، وابن عرفة، وابن الأنباري، وأبو عمر الزاهد، وأبو موسى الحامض، وإبراهيم الحربي، وغيرهم[٣].

له مصنفات كثيرة منها: (الفصيح)، و (قواعد الشعر)، و (شرح ديوان زهير)، و (شرح ديوان الأعشى)، و (مجالس ثعلب) وسماه (المجالس)، و (معاني القرآن)، و (ما تلحن فيه العامة)، و (معاني الشعر)، و(الشواذ)، و (إعراب القرآن)، وغير ذلك[٤].

* * *

(١) ينظر: المؤتلف والمختلف، أبو الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني (ت:٣٨٥هـ)، تح: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ٣١٠/١.

(٢) ينظر: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت:٥٤٢٢)، تح: الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط٢، القاهرة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ١٨١-١٨٢.

(٣) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبدالرحمن بن محمد أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت:٥٧٧هـ)، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط٣، الزرقاء-الأردن، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ١٧٣-١٧٤.

(٤) ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ٢٦٧/١.

المبحث الأول

عود الضمير وأحكامه

- **المطلب الأول: تعريف الضمير**

لغة: «الضاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على دقة في الشيء، والآخر يدل على غيبة وتستر»[١].

اصطلاحاً: «المضمر: ما وضع لمتكلّم، أو مخاطب، أو غائب تقدّم ذكره لفظا أو معنى أو حكما»[٢].

فالمضمر والضمير، اسمان لما وضع لمتكلم كأنا، أو لمخاطب كأنت، أو لغائب كهو، أو لمخاطب تارة ولغائب أخرى، وهو الألف والواو والنون، كقوما وقاما، وقوموا وقاموا، وقمن. يسميه البصريون الضمير, والكوفيون يقولون الكناية والمكنى[٣].

- **المطلب الثاني: تعريف عود الضمير**

للضمير أهمية كبيرة في الكلام لما فيه من الإحالة، والربط؛ لذلك تحدث النحاة عن أنواعه، وعن مرجعه، ووضعوا له القواعد في كتبهم.

واتفقوا على أن كلَّ ضمير يحتاج إلى مرجع يبينه، فالضمير لا بد أن يعود إلى مرجع معلوم، وفي ذلك يقول سيبويه: «و إنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تضمِر اسما بعد ما تعلم أن مَنْ يُحدَّث قد عرف مَن تعني، وما تعني، وأنك تريد شيئا يعلمه»[٤].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت:٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه-١٩٧٩م، مادة (ضمر)، ٣٧١/٣.

(٢) الكافية في علم النحو، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر المالكي (ت:٦٤٦هـ)، تح: د. صالح عبدالعظيم الشاعر، مكتبة الآدب، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م، ٣٢.

(٣) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، ٢٢٣/١.

(٤) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه (ت:١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٦/٢.

فإن كان الضمير لمتكلم أو مخاطب فالمرجع معلوم بقرينة المشاهدة، أما ضمير الغائب فقد احتاج إلى مرجع يبينه؛ لأن «الأصل تقديم مُفَسِّر ضمير الغائب، ولا يكون غير الأقرب إلا بدليل»[١]، وعليه فالضمير في الأصل للأقرب؛ ولكنه قد يعود إلى خلاف الأصل إذا وجدت قرينة تصرفه عن غير الأقرب.

ولقد أوجب أهل اللغة مطابقة الضمير مرجعه في العدد، والتذكير والتأنيث، والنوع لكن الأسلوب العربي قد يعدل عن المطابقة لغرض معين.

وفصَّل الأستاذ عباس حسن القول في عود الضمير وذهب إلى أَنَّ: كل الضمائر لا تخلو من إبهام وغموض؛ فلا بد لها من شيء يزيل إبهامها، ويفسر غموضها، فضمير المتكلم والمخاطب يفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام؛ فهو حاضر يتكلم بنفسه، أو حاضر يكلمه غيره مباشرة، وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف؛ لأنه غير حاضر ولا مشاهد، فلا بد لهذا الضمير من شيء يفسره ويوضح المراد منه، والأصل في هذا الشيء المفسِّر الموضِّح أن يكون:

- فى غير ضمير الشأن متقدمًا على الضمير، ومذكورًا قبله ليبين معناه أولًا ويكشف المقصود منه، ثم يجيء بعده الضمير مطابقًا له.

- فيما يحتاج إلى مطابقة؛ كالتأنيث والإفراد وفروعهما فيكون خاليًا من الإبهام والغموض، ويسمى ذلك المفسر الموضّح: (مَرْجع الضمير).

فالأصل في مرجع الضمير أن يكون سابقًا على الضمير وجوبًا، وقد يُهْمل هذا الأصل لحكمة بلاغية.[٢]

- **المطلب الثالث: أحكام عود الضمير**

١. يعودَ الضمير إلى اسم سبقه في اللَّفظ، وهو الأصل، مثل «الكتاب أخذتُه»، أو يعود إلى متأخرٍ عنه لفظاً، متقدّمٍ عليه رُتبةً، مثل «أخذَ كتابه زهيرٌ»؛ فالهاءُ تعود إلى زهير المتأخر لفظاً، وهو في نِيَّة التقديم، باعتبار رُتبته؛ لأنه فاعل[٣].

٢. يعود الضمير إلى مذكور وغير مذكور، كقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ ﴾[٤] فإن الضمير عائد على الميت، وإن لم يتقدم له ذكر، إلا أنه لما قال: يوصيكم، عُلم أنه ميتٌ،

(١) شرح التسهيل، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله ابن مالك الطائي الجياني (ت:٦٧٢هـ)، تح: د.عبد الرحمن السيد، ود.محمد بدوي المختون، دار هجر، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ١/١٥٦-١٥٧.

(٢) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، ط١٥، ١/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، ط ٢٨، صيدا-لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ١/١٢٤.

(٤) سورة النساء: من الآية ١١.

فيعود الضمير على غير مذكور إذا كان في الكلام ما يدل عليه، وإن كان غير مصرح به.[١]

٣. يعود الضمير على أقرب مذكور، نحو: لقيت زيدًا وعمرًا يضحك، فالضمير في يضحك عائد على عمرو، ولا يعود على زيد إلا بقرينة.[٢]

٤. يعود الضمير على المضاف إذا كان في الكلام مضاف ومضاف إليه، نحو (جاء أخو خالد فاكرمته)، أي: فأكرمت الأخ، وكقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[٣]، فالضمير عاد على المضاف، وقد يعود على المضاف إليه مع القرينة وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[٤]، فالضمير عائد على المضاف إليه وهو موسى.[٥]

* * *

(١) ينظر: أمالي ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر جمال الدين ابن الحاجب المالكي (ت:٦٤٦ه)، تح: د.فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ١١٨/١.

(٢) ينظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٥٢/٢، ومعاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط١، الأردن، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ٦٣/١

(٣) سورة إبراهيم: من الآية ٣٤.

(٤) سورة غافر: من الآية ٣٧.

(٥) ينظر: معاني النحو، ٦٣/١.

المبحث الثاني

عود الضمير في آراء ثعلب التفسيرية

اخترت في هذا البحث أمثلة من مسائل عود الضمير عند ثعلب، والتي حاولت فيها ترجيح الرأي الذي لا يعارض التفسير العام للنص الكريم، فضلاً عن عدم خروجه عن قاعدة: يعود الضمير على الأقرب، ويجوز مع القرينة أن يعود على الأبعد، وكما يأتي :

١.قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِۖ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾[١]، إذ قال أبو العباس في قوله تعالى: «واتخذتموه»، الهاء تعود على ذكر الله، أي: ألقيتموه وراء ظهوركم لم تعبئوا به[٢]، وفي مرجع الضمير الذي أشار إليه ثعلب أقوال:

الأول: عائد إلى الله تعالى وذكره؛ لأنه أقرب مذكور، والمعنى: عظمتم قومكم وتركتم الله خلف ظهوركم لم تأخذوا بأمره، وقد روي عن قتادة[٣]، وابن جرير[٤]، والزَّجاج[٥]، ومكِّي[٦]، وآخرين[٧].

---

(١) سورة هود: الآية ٩٢.

(٢) ينظر: مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ)، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٨٠/١، المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت:٤٥٨هـ)، تح: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ٢٨٧/٤.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ٥٥٥/١٢-٥٥٦، وتفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبدالرحمن بن محمد الرازي (ت:٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى البار، ط٣، السعودية، ١٤١٩هـ، ٢٠٧٧/٦.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٥٥/١٢.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ)، تح: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ٧٥/٣.

(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي المالكي (ت:٤٣٧هـ)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ٣٤٥٦/٥.

(٧) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت:٤١٠هـ)، تح: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ: ١٩٧/٤، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ)، تح: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ: ٢٠٣/٣ ، والبحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تح: صدقي

الثاني: عائد على ما جاء به شعيب عليه السلام، والمعنى: كما روي عن مجاهد[١]: أخذتم ما جاء به قومكم وتركتم ما جئت به خلف ظهوركم.

والحقيقة أن لا وجود للتعارض الكبير بين القولين؛ لأن كليهما عائد إلى الله تعالى وأمره، فما جاء به شعيب عليه السلام هو من الله تعالى في الأصل.

ويبدو مما تقدّم أنّ الراجح من القولين في عود الضمير هو ما أشار إليه ثعلب وهو أن يكون إلى أقرب مذكور وهو الله جلَّ في علاه، أي: ألقيتموه وراء ظهوركم لم تعبئوا به.

٢. وفي قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢]

إذ قيل في ضمير (له): إن الهاء تعود على سيدنا يوسف عليه السلام، والمقصود بالسجود: التحية، كأنه قال: وخروا ليوسف سجداً سجود تحية، لا سجود عبادة، «قال أبوبكر: سمعت أبا العبَّاس يؤيد هذا القول ويختاره»[٣].

وفي مرجع الضمير الذي أيدّه ثعلب أقوال:

الأول: الهاء تعود إلى الله تعالى: أي خَرُّوا شُكْرًا للهِ سُجَّدًا عَلَى مَا أَوْزَعَهُمْ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ.[٤] وذكر ابن الجوزي الرأي نفسه في عود الضمير إلى الله، والمعنى: وخرُّوا لله سجَّداً، فيكون المعنى: أنهم سجدوا شكراً لله لجمعهم بيوسف[٥].

محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ: ٢٥٦/٥.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٥٧/١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ٢٠٧٧/٦.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

(٣) الزاهر في معاني كلمات النَّاس، محمد بن القاسم بن محمد أبو بكر الأنباري (٣٢٨هـ)، تح: د.حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ٤٨/١.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٨٠/٣، والجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تح: أحمد الردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ٢٦٤/٩، والبحر المحيط في التفسير، ٦/ ٣٢٧.

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تح: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٤٧٣/٢.

الثاني: الهاء تعود على يوسف عليه السلام، أي: أنّهم سجدوا ليوسف؛ تعظيمًا له وكَانَ السُّجُودُ سجود تَحِيَّةً لَا سجود عِبَادَةً.(١)

فذهب الشوكاني إلى أَنَّ الضَّمِيرَ يعود لِيُوسُفَ وَاللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ، أَيْ: وَخَرُّوا لِأَجْلِهِ.(٢)

ورأى الرازي إلى أَنَّهُمْ جَعَلُوا يُوسُفَ كَالْقِبْلَةِ وَسَجَدُوا لله شُكْرًا لِنِعْمَةِ وِجْدَانِهِ.(٣)

وأشار أبو حيان إلى أَنَّ الضَّمِيرَ فِي لَهُ عَائِدٌ عَلَى يُوسُفَ؛ لِمُطَابَقَةِ الرُّؤْيَا فِي قَوْلِهِ: (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً)(٤)، وَكَانَ السُّجُودُ إِذْ ذَاكَ جَائِزًا مِنْ بَابِ التَّكْرِيمِ والتعظيم بِالْمُصَافَحَةِ، وَتَقْبِيلِ الْيَدِ، وَالْقِيَامِ مِمَّا شُهِرَ بَيْنَ النَّاسِ فِي بَابِ التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ.(٥)

ويبدو مما تقدَّم أنّ القول الثاني هو الأقرب؛ لأنّه قول جمهور المفسرين، فضلاً عن موافقته ظاهر الآية الكريمة، وعليه فالضمير راجع إلى أقرب مذكور وهو يوسف عليه السلام ، ومما يؤيّد ذلك آية رؤيا يوسف (عليه السلام) وهذا السجود جائز عندهم كما بيَّنه أبو حيّان في قوله المذكور أعلاه.

٣. وفي قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾(٦)، قال أبو العبَّاس: معناه أَنَّ إبراهيم ولوطا عليهما السلام لبطريق واضح.(٧)، وفي مرجع الضمير الذي أشار إليه ثعلب أقوال:

الأول: إذ ذهب أغلب علماء التفسير إلى أنّ الهاء هنا تعود على مدينة قوم لوط وشعيب، أي: يعني مدينة سدوم مدينة قوم لوط والأيكة مدينة قوم شعيب؛ لتقدُّمها ذكرًا.(٨)

---

(١) ينظر: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ)، تح: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٨٢/٣، وزاد المسير في علم التفسير، ٤٧٣/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٦٤/٩.

(٢) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ، ٦٧/٣.

(٣) مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٥١٠/١٨.

(٤) سورة يوسف: من الآية ٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير، ٣٢٧/٦.

(٦) سورة الحجر: من الآية ٧٩.

(٧) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، ٤٠٨.

(٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٧٨، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت:٣٢٧هـ)، تح: الإمام أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت-لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ٣٤٤/٥، والهداية إلى بلوغ النهاية، ٣٩٢١/٦.

فـ(إنهما) تَنْصَرِف إِلَى قَرْيَة قوم لوط وقرية أَصْحَاب الأيكة، وَهَذِه الْبِلَاد بَين الْحجاز وَالشَّام، وَقد كَانَت قُرَيْش يَمرونَ عَلَيْهَا فِي أسفارهم.(١)

والثاني: يرى أنّ الهاء تعود إلى قوم لوط وشعيب.(٢)

والثالث: يرى أنّ الهاء تعود إلى لوط وشعيب أنفسهما(٣)، حيث ذكر النعماني إنَّ الضمير يعود على لوطٍ وشعيبٍ، وشعيبٌ لم يجر له ذكر، ولكن دلَّ عليه ذكر قومه.(٤)

والرابع: يرى أنّ الهاء تعود إلى مَدْيَن والأيكة(٥)؛ وذلك لِأَنَّ شُعَيْبًا كَانَ يُنْسَبُ إليهم.(٦)

فذكر البيضاوي(٧)، والنعماني(٨)، والنيسابوري(٩)، والزمخشري(١٠) أنّ الهاء في هذه ترجع إلى مدين والأيكة؛ لأن شعيبا كان مبعوثا إليهما، فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما.

والخامس: يرى أنّ الهاء تعود إلى قرى قوم لوط.(١١)

---

(١) ينظر: تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت:٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، ط١، الرياض-السعودية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ١٤٨/٣، محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت:١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ، ٣٤٢/٦.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ)، تح: عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث، ط١، بيروت، ١٤٣٣هـ، ٤١٥/٢، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٢١/٦.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٧١/٣، وزاد المسير في علم التفسير: ٥٤٠/٢، والبحر المحيط في التفسير: ٤٩١/٦.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي النعماني (ت:٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت-لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٤٨٢/١١.

(٥) ينظر: لطائف الإشارات، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري (ت:٤٦٥هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، مصر، ٢٨٧/٢، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (ت:١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبدالله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ، ٩٩/٣.

(٦) ينظر: فتح القدير: ١٦٨/٣.

(٧) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)، تح: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ، ٢١٥/٣.

(٨) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ٤٨٢/١١.

(٩) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت:٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ، ٣٢٥/٤.

(١٠) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جارالله (ت:٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ، ٥٨٦/٢.

(١١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٥/١٠.

والسادس: يرى أنّ الهاء تعود على الخبرين خبر إهلاك قوم لوط وخبر إهلاك قوم شعيب.[١]

وفي ضوء ما سبق يبدو أن الأرجح هو قول جمهور المفسرين فالضمير يعود على أقرب مذكور وهما مدينة قوم لوط وقوم شعيب.

٤. قال تعالى:﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ مِنَ﴾ قال: في هذه، يعني الدنيا، وقال قوم: في هذه السورة. قال ثعلب: «والعمل على الأول؛ لأن في كل سورة قد جاء الحق».[٢]

وفي مرجع اسم الاشارة (هذه) الذي ذكره ثعلب أقوال:

الأول: ذهب أغلب علماء التفسير إلى أنّها تعني في هذه السورة[٣]، والمراد بالحق ما فيها من قصص وأخبار ومواعظ وذكرى، وقد ذكر القرطبي خصوصية هَذِهِ السُّورَةَ أَنَّ فِيهَا أَخْبَارَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.[٤]

الثاني: أنّها تعني في هذه الدنيا[٥]، والمراد بالحق النبّوة والقرآن وتعني: الآيات والحجج والبراهين لرسالته ودينه.[٦]

الثالث: أنّها تعني في هذه الآية بعينها[٧]، والمراد بالحق ما فيها من قصص وأخبار ومواعظ وذكرى، وهو ما جوَّزه الزَّجاج.[٨]

وكما هو معروف أن الأرجح في عود الضمير يكون إلى أقرب مذكور إلا إذا دلَّ السياق العام على غير ذلك، والأقرب في هذه الآية المباركة هو الأنباء والقصص، ويدخل مع هذا القول السورة والآيات، والمعنى: جاءك يا محمد في هذه السورة والآيات الأنباء والقصص التي كلها حق وصدق وفيها موعظة وذكرى للمؤمنين .

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤٨٢/١١، وإعراب القرآن وبيانه: ٢٥٨/٥.

(٢) ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، محمد بن عبدالواحد أبو عمر الزاهد الباوردي، المعروف بغلام ثعلب (ت:٣٤٥هـ)، حققه: محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، ط١، السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ٢٧٢.

(٣) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١٩٥/٥، والنكت والعيون، ٥١٢/٢، وتفسير القرآن للسمعاني، ٤٦٩/٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١١٦/٩، والهداية إلى بلوغ النهاية، ٣٤٩١/٥.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٤٣/١٥، ٣١٤، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١٩٥/٥، والهداية إلى بلوغ النهاية، ٣٤٩١/٥، والنكت والعيون، ٥١٢/٢.

(٦) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت:٧٤١ه)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ، ٥٠٨/٢.

(٧) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ٤٠٩/٢، ومفاتيح الغيب، ٤١٢/١٨، واللباب في علوم الكتاب، ٦٠٣/١٠، ولباب التأويل في معاني التنزيل، ٥٠٨/٢.

(٨) ينظر: معاني القرآن واعرابه، ٨٤/٣.

والحقيقة أن وصف هذه السورة أو الآيات بالحق لا ينفي ذلك الحق عن غيرها من السور، فالمعنى هذه السورة أو الآيات على حق وسائر سور وآيات القرآن.[١]

٥. قال تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾، الضمير يعود إلى النبي محمد ﷺ.[٣]

وفي مرجع الضمير الذي أشار إليه ثعلب أقوال:

الأول: ذهب أغلب علماء التفسير إلى أنّه محمد ﷺ[٤] حيث ذكر الطبري أن اليهود كانت تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب، يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم! فلما بعث الله محمدا، ورأوا أنه من غيرهم، كفروا به حسدا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ: فقال الله: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين).[٥]

الثاني: إنّه الكتاب والرسول[٦]، فقد ذهب ابن عاشور إلى أنّه فلما عرفوا ما جاءهم الكتاب به كفروا به فقد كفروا بالكتاب والرسول؛ لأن الكتاب لا يجيء إلا مع الرسول.[٧]

الثالث: إنّه الحق[٨]، فقد ذكر الزمخشري أنه: لما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به، بغيا وحرصا على الرئاسة.[٩]

الرابع: إنّه الإسلام[١٠].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١١٦/٩، والهداية إلى بلوغ النهاية، ٣٤٩١/٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٣) ينظر: مجالس ثعلب، ٧٤/١.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ٤١/١، واللباب في علوم الكتاب، ٢٧٦/٢، ٢١٨.

(٥) ينظر: جامع البيان، ٢٣٥/٢، والكشف والبيان، ٢٣٥/١، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، ١٤١/١-١٤٢.

(٦) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (ت:٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط١، دمشق، ١٤١٥هـ، ١١٧/١.

(٧) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ٦٠١/١ – ٦٠٢.

(٨) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ٧٠/١.

(٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ١٦١/١.

(١٠) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت:٧٤١هـ)، تح: الدكتور عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ، ٨٩/١.

والحقيقة أن ظاهر الآية يشير إلى عود الضمير على القرآن الكريم، وهو المذكور في أول الآية، ولكن سبب نزول هذه الآية يدل على خلاف ذلك، حيث كان اليهود يستنصرون بالنَّبي ﷺ كما تقدَّم، ولكن لا تعارض في ذلك فالكفر بالكتاب هو كفر بمن نزل عليه الكتاب، والكفر بمن نزل عليه الكتاب هو كفر بالكتاب نفسه.

٦.قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ حَقًّۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾[1]

عن ثعلبة والمبرد في قوله تعالى:﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الهاء والميم في فيهم لأصحاب الكهف، والهاء والميم في منهم لليهود.[2] فلقد أجمع علماء التفسير على أنّ الهاء في (فيهم) تعود على أصحاب الكهف، واختلفوا في مرجع الهاء في (منهم):

الأول: ذهبوا إلى أنّ الهاء في (منهم) تعود إلى اليهود، أي: لا تسأل أحدًا من اليهود عن أصحاب الكهف إلا ما أخبر القرآن من أمرهم.[3]

الثاني: ذهبوا إلى أنّ الهاء في (منهم) تعود إلى أهل الكتاب[4]، ففي قوله تعالى: {وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً} أي من أهل الكتاب، أي: لا ترجع إلى قولهم بعد الذي أخبرناك؛ لأنَّه ليس عندهم علمٌ إلاَّ رجماً بالغيب.[5]

الثالث: ذهبوا إلى أنّ الهاء في (منهم) تعود إلى الخائضين والمتجادلين[6]، أي: لا تجادل في أمرهم أحدا من الخائضين جدالا يتجاوز ما قصصناه عليك؛ لأن فيه ما يغنيك عن السؤال[7].

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٢.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي(ت:٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، ٤٣/٤.

(٣) ينظر: تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تح: د. محمد عبدالسلام أبو النبل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط١، مصر، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ٤٤٦/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٧٨/٣، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ٣٧٦/٥، وجامع البيان في تأويل القرآن، ٦٤٤/١٧.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٦٤٣/١٧، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٢٧٨/٣، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١٦٣/٦، والهداية إلى بلوغ النهاية، ٤٣٥٥/٦، والنكت والعيون: ٢٩٨/٣.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ٤٥٨/١٢.

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢١٦/٥.

(٧) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة، ط١، مصر- القاهرة، ٤٩٧/٨.

الرابع: ذهبوا إلى أنّ الهاء في (منهم) تعود إلى النصارى[١]، أي: ولا تستفت النصارى فيهم، فإنهم لا علم لهم بهم إلا رجما بالغيب من غير استناد إلى دليل قاطع، ولا نص صريح.[٢]

الخامس: يرى ابن عاشور أنّ الهاء في (منهم) تعود إلى أهل مكة، لأنه يرى أنه عَائِدٌ إِلَى مَا عَادَ إِلَيْهِ ضَمِيرُ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ، وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ، الَّذِينَ سَأَلُوا عَنْ أَمْرِ أَهْلِ الْكَهْفِ.[٣]

ويبدو أن اجماع المفسرين على عود ضمير(فيهم) على أصحاب الكهف، وضمير(منهم) على أهل الكتاب هو الأقرب؛ لأنّ أصحاب الكتاب أشمل من اليهود.

٧. قال تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾[٤]

أي: لا يخاف الله عز وجل عاقبة ما عمل أن يرجع عليه في العاقبة كما نخاف نحن، كما قاله ثعلب.[٥]

وفي مرجع الضمير الذي أشار إليه ثعلب أقوال:

الأول: ذهب أغلب علماء التفسير إلى عود الضمير على الله تعالى، أي: أَنَّ الله لا يخاف عاقبة ما أنزل بهم من العقوبة؛ لأنه لم يظلمهم فيخيفه الحق.[٦]

الثاني: وذهب فريق آخر إلى عود الضمير إلى الذي عقرها، أي: لم يخف الذي عقرها عقبى فعله[٧]، أي: الذي أقدم عَلَى عَقْرِ الناقة هُوَ كَالْآمَنِ مِنْ نُزُولِ الْهَلَاكِ بِهِ وَبِقَوْمِهِ ففعل مع هذا الْخَوْفِ الشَّدِيدِ فِعْلُ مَنْ لَا يَخَافُ.[٨]

الثالث: وذهب فريق آخر إلى عود الضمير إلى نبي الله صالح عليه السلام[٩]، فنبي الله صالح لا يخاف عاقبة إهلاك قومه؛ لأنه قد أنذرهم[١٠].

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، ٤٥١٥/٩.

(٢) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، مصر، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م، ١٣٦/١٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٩٤/١٥-١٩٥.

(٤) سورة الشمس: الآية ١٥.

(٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ٢٣٧/١.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٣٣٣/٥، والكشاف، ٧٦١/٤، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤٨٧/٥.

(٧) ينظر: جامع البيان، ٤٦١-٤٦٢، والهداية إلى بلوغ النهاية، ٨٣٠٤/١٢-٨٣٠٥، والنكت والعيون، ٢٨٥/٦.

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٨٠/٣١، الكشف والبيان: ٢١٥/١٠.

(٩) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ٤٥٢/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٤٧٨/٢.

(١٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٧٩/٢٠، والنكت والعيون، ٢٨٥/٦.

ويبدو أنّ القول الأول هو الأقرب لدلالة السياق عليه، فضلاً عن قاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور أولَى من غيره.

٨.قال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[1]

يذرؤكم فيه، أي: يكثركم فيه، والهاء راجعة على الخلق.[2] واختلف العلماء في مرجع الضمير الذي أشار إليه ثعلب في ذلك أقوال:

الأول: ذهب أغلب علماء التفسير إلى أنّ الهاء تعود إلى مصدر جعل، أي بالجعل[3]، فالضمير يعود على الجعل الذي يتضمنه قوله: جَعَلَ لَكُمْ.[4]

الثاني: وذهب فريق آخر إلى أنّ الهاء تعود إلى الخلق[5]، فالضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: «فِيهِ» يرجع إِلَى مَا ذَكَرَ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَالْأَنْعَامِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا.

الثالث: وذهب فريق آخر إلى أنّ الهاء تعود للبطن أو الرحم.[6]

الرابع: ذهب فريق آخر إلى أنّ الهاء تعود إلى التزويج الذي دل عليه قوله أزواجًا.[7]

الخامس: في حين رأى القشيري إلى أنّ الهاء تعود إلى الوقت أو الأنعام.[8]

السادس: فيما رأى الرازي[9]، والشوكاني[10]، والقاسمي[11]، إلى أنّ الهاء تعود إلى التدبير.

---

(١) سورة الشورى: من الآية ١١.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط والأعظم، ٩٣/١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٧/١٦، والبحر المحيط في التفسير، ٣٢٦/٩.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٧/٥، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٥/٢.

(٥) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ)، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ٥٤٣/٩، واللباب في علوم الكتاب، ١٧٢/١٧.

(٦) ينظر: لطائف الإشارات، ٣٤٤/٣، والجامع لأحكام القرآن، ٧/١٦، وفتح القدير، ٦٠٥/٤، ومحاسن التأويل، ٣٥٣/٨.

(٧) ينظر: لطائف الإشارات، ٣٤٤/٣، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٧/٥.

(٨) ينظر: لطائف الإشارات، ٣٤٤/٣.

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب، ٥٧٩/٢٧،

(١٠) ينظر: فتح القدير، ٦٠٥/٤.

(١١) ينظر: محاسن التأويل، ٣٥٣/٨.

يتبين مما سبق أنّ الرأي الراجح هو ما ذهب إليه ثعلب، وهو عود الهاء على (الخلق)، بدليل زيادة لفظة (ذرأ) على لفظة (خلق) معنى آخر ليس في خلق، وهو توالي الطبقات على مرور الزمن.[1]

* * *

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٨/٥.

الخاتمة

بعد تمام هذا البحث تبين ما يأتي:

• هناك من الضمائر ما يستوجب ذكر المفسر له، وذلك يكون متقدما عليها، وأحيانا قد يسبق الضمير بمذكورين أو أكثر.

• يكون الضمير عائدا على الأقرب وقد يعود على غير الأقرب له، بدلالة السياق الذي ورد فيه.

• يشغل ضمير الغائب معظم مواضع البحث؛ لأنه أحوج ما يحتاج إلى ما يفسره ويبن معناه.

• لبيان الإعجاز القرآني قد يستغنى عن ذكر المفسر ويبقى الضمير معلوم الدلالة؛ وذلك من باب الإيجاز(قلة اللفظ وكثرة المعنى).

وبعد هذا الجهد اسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت وأدلوت بدلوي ونلت حظا من هذا النبع الوفير، فإن وفقت فنعمة وفضل ومنة من الله وإن قصرت فحسبي نيتي في خدمة هذا الكتاب العزيز.

والحمد لله رب العالمين ...

* * *

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.

١. إرشاد العقيل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٣. أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت:٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار – الأردن، دار الجيل-بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٦. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت:١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، القاهرة، ١٤١٩هـ.

٧. البرهان في علوم القرآن، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي(ت:٧٩٤هـ)، ت: محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

٨. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت:٤٢٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٩. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٠. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، ت:د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق (من ١ – إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، الطبعة الأولى.

١١. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت:٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٢. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت:٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى البار، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٣. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبدالجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت:٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم ابن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٤. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولادهـ بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة-القاهرة، الطبعة الأولى.

١٦. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبدالسلام أبي النبل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

١٧. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت:١٥٠هـ)، تحقيق: عبدالله محمود شحاتهـ، دار إحياء التراث-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٩. جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت:١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد الردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٢١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٢٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.

٢٣. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٤. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (٣٢٨هـ)، ت:د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٥. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٢٦. شرح التسهيل، محمد بن عبدالله، ابن مالك الطائي الجياني أبو عبدالله جمال الدين (ت:٦٧٢هـ)، ت:د. عبدالرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠.

٢٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت:٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٨. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٩. الكافية في علم النحو، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري المالكي (ت:٦٤٦هـ)، ت: د. صالح عبدالعظيم الشاعر، مكتبة الآدب-القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

٣٠. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه (ت:١٨٠هـ)، ت:عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جارالله (ت:٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٣٢. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت:٣٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٣٣. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت:٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٤. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت:٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية،

بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٥. لطائف الإشارات، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري (ت:٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.

٣٦. مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ)، شرح وتحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، مصر.

٣٧. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت:١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٩. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت:٤١٠هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤١. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ)، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤٢. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٤٣. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسن (ت:٣٩٥هـ)، ت: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤٤. مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٤٥. المؤتلف والمختلف، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت:٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٤٦. النحو الوافي، عباس حسن (ت١٣٩٨هـ)، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.

٤٧. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله الأنصاري، أبو البركات، كمال

الدين الأنباري (ت:٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤٨. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٤٩. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت:٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف: الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥٠. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، ت: عبدالحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية-مصر.

٥١. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٢. ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، محمد بن عبدالواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد الباوردي، المعروف بغلام ثعلب (ت:٣٤٥هـ)، حققه: محمد يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، السعودية-المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

* * *